اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح٢٤ | الآيات [١٥٣ : ١٦٥]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاةُ والسَّلامُ على رسول الله –صلّى الله عليه وسلم، بإذنِ اللهِ عزَّ وجلّ نستكملُ تفسيرَ سورةِ الأنعام، كُنَّا توقّفنا عندَ قولِ اللهِ عزَّ وجلّ: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} آية ١٥٤، سورة الأنعام.

- أسس ثابتة وشرائع تفصيلية يمكن أن تتغير

تكلمنا في المرة الماضية عن ثلاث آيات متتاليات تتكلم عن أُسُس وقواعد ومقاصِد عامَّة للشريعة، هذه الأُسُس وهذه الأُصول وهذه القواعد لا تتغيَّر مع الزَّمان، هذه الأُسُس ثابتة في كُلِّ دين، في كُلِّ مِلَّة، في كُلِّ وقت، في استضعاف، في تمكين، هذه الأُسُس لا تتغير، هناك بعض الشَّرائِع التفصيلية الصغيرة الدَّقيقة قد تتغير من شريعة إلى شريعة: {..لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...(٤٨)} سورة المائدة، قد يتغير بعض التحريم للأطعمة، بعض الأشياء قد تتغير، وضَّحَ اللهُ عزَّ وجَلَّ لنا في السورة أن بعض الأطعِمَة– لسببٍ ما مُعيّن – حُرِّمتَ على اليهود بِظُلمٍ منهم.

إذاً هناك بعض التفاصيل قد تتغير، لكن هناك أُصول لا يستقيم أن تتغير أبدًا" أُصول ثابتة"، بيَّنَ اللهُ عزَّ وجلّ أن هذهِ الأُصول وهذه القواعد لا تتغيَّر أبدًا مع الزمان ولا مع المكان، وهذه الأخلاق ليست نسبية ولكنها أخلاق ثابتة، وصَّى اللهُ عزَّ وجلّ في هذه الآيات{١٥١:١٥٣} بهذه الوصايا–الوصايا العشر– وهذه الوصيّة–الوصية الجامعة–التي تكلمنا عنها هي السِّياج الذي لابد أن يوضع عند الأُمَّة الإسلامية حتى لا تتفرّق بها السُّبُل، وأن الأُمَّة لو تُرِكَتْ من غير هذا السِّياج سيتفَرَّق بِها الطريق، وتكلمنا المرّة الماضية عن الفرق بين "فتُفرِّقَكُم السُّبُل" و {فتَفرَّق بِكُم السُّبُل}.

- (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

وهو التعبير القرآني، وأن الطريق ممكن يخرج بك بالرغم عنّك وأنت لا تدري، إذًا لا بُدَّ من وضْع سِياج، ووَضْع علامات تحذير... مصابيح حمراء تضيء حين تبدأ تخرج خارِج الطَّريق المستَقيم... تقول لك: "انتبه!"، هذا دور العلماء العاملين، أنهم يحفظوا على الناس دينَهُم، كما يحفظوا عليهم دُنياهم، أيضًا يحفظوا عليهِم دينَهُم، { ...ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٥٣)} سورة الأنعام.

ثم ربنا سُبحانهُ وتعالى يقول: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ(١٥٤)} سورة الأنعام.

- العُلماء وقفوا عند كلمة {"ثُمَّ" آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)} سورة الأنعام

تعجبوا، لو هذه الأحكام هي للنبي صلى الله عليه وسلم -أي العشَر وصايا في الثلاث آيات السابقة- فكيف يأتي بعدها {"ثُمَّ" آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)} سورة الأنعام. وكِتاب سيِّدِنا موسى- التوراة- نزلت قبل القرآن؟ فقالوا: أكيد {ثُمَّ} ليست هنا **للترتيب الزَّمَني**.

بعض العُلَماء لما حَصَل هذا الإشكال قال: إذًا {ثُمَّ} هنا ليست للترتيب الزَّمَني، بل {ثُمَّ} هنا تفيد **نوع من التدرّج**، وأن هذه قواعِد عامَّة وبعد ذلك نزل نوع من أنواع التَّفصيل، هذا التَّفصيل جاء في التوراة، وجاء في القرآن، لذلك بدأ بالقواعد العامّة، التي هي في كُلّ دين.

وقال بعدها: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ "وَتَفْصِيلًا"...(١٥٤)} سورة الأنعام. إذًا هنا المقصود الأحكام التّفصيليّة ليست القواعد العامَّة المجْمَلَة، وتليها الآية {وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...(١٥٥)} سورة الأنعام. أي: أيضًا هذا الكتاب- القرآن- يحتوي على أحكام تفصيليَّة كما احتوتْ التَّوراة على أحكام تفصيليَّة...فقال بعضهم: {ثم}

هنا تفيد نوع من **التدرّج أو التَّراخي الرُّتَبي**، و قد تكلمنا عنها في أوَّلِ السُّورة: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(١)} سورة الأنعام.

وبعضهم قال: لا... {ثُمَّ} هنا تُفيد **الزَّمان**... فقالوا: كيف تفيد التَّرتيب الزَّمَني؟ قالوا: هذه الأحكام – الوصايا العَشْر– وصّى اللهُ عزَّ وجلّ بها سيِّدَنا إبراهيم– عليهِ وعلى نبيِّنا أفضل الصلواتِ وأتمُّ التَّسليم– وجاءتْ في ملَّةِ إبراهيم ثُمَّ موسى ثُمَّ النبيُّ صلى الله عليهِ وسلَّم.

ولِبُعْد الزَّمان ما بين إبراهيم– عليهِ وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلواتِ وأتمُّ التَّسليم– لِبُعْد الزَّمان ما بين إبراهيم وموسى عليهِما السَّلام جاءت كلمة {ثُمَّ}، وقال بعد ذلك: {وَهَذَا كِتَابٌ...(١٥٥)}سورة الأنعام. أي القرآن، {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...(١٥٥)}سورة الأنعام، وبعضهم قال: هذه الوصايا العَشْر وصَّى اللهَ عزَّ وجلَّ بها إبراهيم وأمر اللهُ عزَّ وجلّ إبراهيم عليهْ السَّلام بها، ثُمَّ آتى لموسى زيادة على الوصايا الإجماليَّة تفصيلا لم يكن في ملة سيِّدنا إبراهيم، ثُمَّ جاء القرآن بزيادة من التَّفصيل لم يكن في التوراة، لذلك جاء وصف {... مُبَارَكٌ...(١٥٥)}سورة الأنعام، إذًا التَّفصيل يزداد على مرّ الزَّمان حتى اكتمل وقال اللهُ عزَّ وجلَّ:{...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...(٣)}سورة المائدة. فاكتمل التَّفصيل التَّامّ في القرآن.

إذًا الوصايا العشر هذه من زمن سيِّدنا إبراهيم والعالم كُله يُوصَّى بها، لا يُنازَع ولا يُنازِع فيها أحَد{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)}سورة الأنعام.

ربنا قال إن إيتاء الكتاب هنا: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)} سورة الأنعام. هذه نعمة عظيمة تستوجب الشُكر، {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)}سورة الأنعام من{ ...الذي أحسن...(١٥٤)}سورة الأنعام ؟

- العلماء اختلفوا في {...الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)} سورة الأنعام.

على **ثلاثة أقوال**: إما أحسَن بمعنى: أحسنوا، أي بني **إسرائيل كُلُّهم**، أو {...تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)} سورة الأنعام، أي: **أن اللهَ عزَّ وجلَّ هو الذي أحسَنَ وأتمَّ النِّعمة** بإحسانه على موسى، **القول الأشهَر والأرجَح هو {...تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)}سورة الأنعام، أي: موسى عليهِ السَّلام**، أي أن اللهَ عزَّ وجلَّ آتى موسَى الكتاب تفصيلًا، لماذا؟ لأن سيِّدنا موسى أحسَن في الأعمال، أحسَن في أي أعمال؟ أحسَن في العمل بهذه الوصايا العَشْر، فلمَّا سيِّدنا موسى أحسَن في تطبيق ما أمرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بهِ من وصايا آتاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ زيادة في التَّفصيل.

نعيد هذا المعنى- وعكسُه سيأتينا إن شاء الله -إن ربنا أتمّ علينا النِّعمَة بتفسير سورة الأعراف- أن بني إسرائيل لما أعرضوا عن تطبيق بعض الشَّرع أو التَّفصيل الذي جاء في التَّوراة نُزِعَ ورُفِعَ مِنْهُم، إذًا التَّفصيل الذي في الشَّرع -الأحكام التَّفصيليَّة الموجودة في الشَّرع- هذه نِعمة من ربنا، أن ربنا يفصّل لنا في الأحكام، **فكلما تزداد الأحكام تفصيلا ووضوحا كلما قل الخلاف، إذًا التفصيل نِعمة**، أن النُّور يزداد هذه نعمة، لكن عليك أن تطبق أولاً الوصايا الأولى لكي يأتي لك التَّفصيل، فلما سيِّدنا موسى طبَّق وصايا مُعيَّنَة من اللهِ عزَّ وجلَّ أتمّ الله عليه النِّعمَة(من تقرَّبَ إليَّ شِبرًا تَقرَّبتُ إليهِ ذِراعًا)[١]

لماذا لم ينزل الكتاب من البداية مُفصَّلًا؟ لماذا فترة في الأول -مثلما حدث في القرآن- التَّفصيل جاء في المرحلة المدنيَّة؟ وهنا نفهم معنى كلمة {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)}سورة الأنعام، وإيتاء موسى الكتاب جاء في مواضِع كثيرة من القُرآن وله معنى، نريد توضيح هذا المعنى، فله دلالة -واللهُ أعلَى وأعْلم- هذه الدَّلالة فيها بُشْرى، ماهي هذه البُشرى في قوله تعالى {...آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)}سورة الأنعام؟؟

[١] - من تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا ومن أتاني يمشي أتيتُه هَرولةً.
ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٠ •صحيح •

وقد وردت أيضا في سورة السَّجْدَة: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)} سورة السجدة، وقد اختلف العلماء{...فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)}سورة السجدة، الضمير -الهاء- في كلمة {لقائه} عائدة على ماذا؟ اللهُ عزَّ وجلَّ يُخبِر انه آتى موسى الكتاب ويقول للنبي صلى اللهُ عليه وسلّم: {...فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)}سورة السجدة، هذه بُشرى أي يقول له: اطمئن أنك ستُلاقيه، الهاء تعود على ماذا؟

بعضهم قال: {... مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)}سورة السجدة، أي: لقاء الله، وبعضهم قال: {...مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)}سورة السجدة، أي: لقاء موسى في الإسراء والمِعراج، وبعضهم قال: {فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)} سورة السجدة. أي: لقاء الكتاب، كما آتى اللهُ عزَّ وجلَّ موسى الكتابَ مفصلًا سيؤتيك يا محمد - صلى الله عليه وسلم -الكتاب مفصلًا.

نريد أن نعرف ماهي البُشرى في إيتاء الكتاب؟ نريد فهم هذه النقطة.

نأتي بمثل ثالث أيضا؛

يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)} سورة الإسراء. لماذا ربنا في بداية سورة الإسراء يجمع ثلاثة أحداث

الإسراء:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ...(١)} سورة الإسراء.

ايتاء الكتاب:{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(٢)} سورة الإسراء.

إنقاذ سيِّدنا نوح ومن معه:{ذرية من حملنا مع نوح...(٣)} سورة الإسراء.

بني إسرائيل هم ذُريَّة إبراهيم، أي ذُريَّة إسحاق وذُريَّة يعقوب، لماذا اختار سيِّدنا نوح؟ ولماذا اختار لحظة حمْلهم على السَّفينة؟ {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...(٣)} سورة الإسراء. وتأتي مُقابلة لإيتاء موسى الكتاب، ماهي العلاقة بين إيتاء موسى الكتاب وبين حمْل الناس مع سيِّدنا نوح؟ ليمكننا أن نفهم ماهي الفكرة أو البشرى في {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)} سورة الأنعام.

- إيتاء موسى الكتاب فيهِ بُشرى بالتَّمكين، كيف هذا؟

لأنه طوال ما أنت مُستضعَف لا يمكنك تنفيذ أحكام الكتاب التَّفصيليَّة... لذلك الأحكام التفصيلية في الإسلام لم تنزل في مكّة... لأنه لا يوجد واقع يُطبَّق فيه هذهِ الأحكام، لذلك إيتاء التَّوراة والكتاب لم ينزل مُفصَّلًا على موسى منذ بداية دعوته؟ متى الله عزَّ وجلَّ أنزَل الكتاب على سيِّدنا موسى؟... بعدما جاوزوا البحر وتركهم وذهب للقاء الله عزَّ وجلَّ ليأخذ التَّوراة، متى كان هذا؟ "بعد إهلاك فرعون"، فلم يُؤتى موسى الكتاب تفصيلًا لكل شيء إلا بعد إهلاك فرعون، **فكان إيتاء الكتاب بُشرى لبداية التَّمكين... أنه سيكون هناك أرض يُطبَّق فيها الكتاب تفصيلا.**

إذًا الأحكام التَّفصيليَّة لم تنزل في مكَّة لأن لم يكُن هُناك واقع تُطبَّق فيه هذهِ الأحكام، فنَزَلت السُّوَر المدنيَّة في المدينة بأحكام تفصيليَّة في واقع يُطبَّق فيه هذه الأحكام ، إذًا إيتاء الكتاب بُشرى بالتَّمكين، يبقى {...آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ...(٢٣)} سورة السجدة. أيضًا سيكون لك أيها النبي واقع كما كان لموسى واقع طُبِّقَ فيهِ الكتاب تفصيلًا، بُشرى أنك ستُمكَّن، وستذهَب إلى أرض تُطبِّق فيها الأحكام التَّفصيليَّة، وَضح المعنى؟ الأحكام التَّفصيليَّة نزلت حين أصبح هناك أرض تُطبَّق فيها، وهذا يجب أن يراعى في النِّقاشات عن تطبيق الأحكام الشرعية ولا تكون نقاشات ساذجة.

- أحكام القرآن منسوخة أم منسوءة ؟

مثلما ذهبوا لأحد العُلماء وقالوا له: ضعوا لنا دُستور إسلامي كامل لا يُعدل، قال لهم: "أنتم تعبثون بالبلاد مئات السِّنين تخربوها واليوم تطلبوا هذا .. لا ، نحن نضع قواعد شرعية عامّة وفي طريق التنفيذ نضع القواعد التَّفصيليَّة مع التطبيق، يجب أن يصاحب العلم عمل ، هذا أسلوب القرآن"، قد يقال القرآن تم و الأحكام واضحة، نعم... لكن لما نُمرّ بمرحلة استضعاف أخرى نعود نُمرّ بنفس المراحل، وهذا الفارق بين بعض الآيات التي قال فيها العُلماء: بعضهم قال بالنَّسخ وبعضهُم قال بالنَّسْء، النَّسْء أي يُؤخّر تنفيذها.

فأحكام الاستضعاف في القرآن بعض العُلماء قال: "هذه منسوخة تمامًا"، والبعض قال: "لا، هذه منسوءة"، نَسْء بمعنى: لو مررتم بمرحلة استضعاف كما كانت من قبل تُؤجَّل، ليس الوقف التَّامّ للعمل بآيات الكِتاب... لا، تُؤجَّل إلى أن يأتي الواقع المناسب للعمل بها.

إذًا إيتاء الكتاب بُشرى بالتَّمكين، فتكون {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)} سورة الأنعام، بمعنى: فمن يُحسِن في مرحلة الاستضعاف يؤتيهِ اللهُ عزَّ وجلَّ الكتاب تفصيلًا لكلِّ شيء.

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...(١٥٥)} سورة الأنعام. هذا الكتاب مبارك أعظَم من كتاب موسى، مُهيْمِن على كتاب موسى، فيهِ كُلُّ الأحكام؛ في الاستضعاف وفي التَّمكين، فمن سيحسِن في تطبيق هذه الأحكام في الاستضعاف يمنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه بالتَّمكين، طيب نعود لمقدِّمة سورة الإسراء... لما ربنا ذكر لحظة الإسراء كأن ربنا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الأقوام على مدار الزَّمان من أول سيِّدنا نوح إلى يوم القيامة نوعين،

- نهاية الأقوام أو معاملة الله عزَّ وجلَّ لأقوام الأنبياء بطريقتين:

النَّوْع الأول: هو الإبادة التَّامَّة... تجِد أن كل الأنبياء الذين ذُكِروا في القرآن قبل سيِّدنا موسى: مثل سيِّدنا نوح، وسيِّدنا هود، وسيِّدنا صالح، وسيِّدنا شُعيب، وسيِّدنا إبراهيم،

وسيِّدنا لوط، كُلّ هؤلاء الأنبياء الذين ذُكِروا –غير داوود وسُليمان وكذلك زكريا ويحيى كل هؤلاء أنبياء بني اسرائيل جاءوا بعد موسى عليه السلام – الأنبياء قبل سيِّدنا موسى لم يذكر اللهُ عزَّ وجلَّ ماذا حدثَ بعدَ أن أنجاهُم، ماذا كانت نهاية قِصصهم ؟ عذاب ينزل وتنتهي القصة، الله عزَّ وجلَّ لم يذكر بعدما نجاهم هل أقاموا مجتمع ونزلت أحكام تفصيليَّة؟ ربنا لم يذكر، كانت نهاية القصة بالإهلاك.

النوع الثاني: من بعد سيِّدنا موسى ونزول التَّوراة كانت لحظة فاصلة؛ كما أخبر اللهُ عزَّ وجلَّ في القرآن في بعض الآيات، ورُويَ حديث عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم وفسَّرَها شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ونقل هذا الكلام ابن كثير والسّعدي وغيرهم من المفسِّرين، هناك آيات تدلّ في القرآن وأحاديث مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض العُلماء حسّنها؛ أنه لم يعد هناك عذاب تامّ سينزِل من بعد إهلاك فرعون، من بعد نزول التَّوراة توقف نزول عذاب تامّ ،انتهى.

- اللحظة الفاصلة

فمُقدّمة سورة الإسراء ذكرت الإسراء، وذكرت إيتاء الكتاب الذي هو اللحظة الفاصلة بتوقف الإهلاك التامّ، وذكرت {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...(٣)} سورة الإسراء، فكأن ربنا سبحانه وتعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: الإسراء هو علامة أنك ستنتقل من مرحلة لمرحلة أخرى مختلفة... كأن الزَّمان من سيِّدنا نوح لسيِّدنا موسى هذه مرحلة ، ومن سيِّدنا موسى لآخر الزَّمان هذه مرحلة مختلفة.

ما قبل سيِّدنا موسى من أول سيِّدنا نوح هذه تُعتبَر نسبيًّا لو حبينا نُطلق عليها اسم "مرحلةالاستضعاف" فلم ينزل فيها كتاب تفصيلي، من بعد سيِّدنا موسى نزل الكتاب التفَّصيلي؛ لأن أصبح هناك مجتمع والجهاد بدأ يُفرض، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وأصبح هناك أحكام تفصيليَّة، لأن أصبح هناك تمكين.

- لنا في بني اسرائيل أُسوَة

لذلك أكثر أُمَّة ذُكِرَت في القرآن أُمَّة بني إسرائيل لماذا؟ لأنها أُمَّة مُتكاملة، مَرّت بكُلّ المراحل، **استضعاف ونَّجاة وتَّمكين، مرَّت بالثلاثة مراحل**، كُلّ الأُمَم السابقة مرّت بمرحلة أو اثنين فقط.

أُمَّة النبي صلى الله عليه وسلم ستظل تُمرّ بالثلاثة مراحل على مدار الزَّمان، استضعاف ثُمَّ نجاة ثُمَّ تمكين، فلنا في بني اسرائيل أُسوَة، لنا فيها أُسوة أنهم مُكنوا فأخطأوا... أخطاء أثناء الاستضعاف، وأخطأوا أثناء النَّجاة، وأخطأوا أثناء التَّمكين، فتمّ استبدالهم، اللهُ عزَّ وجَلّ استبدلهم، حتى لا نقع في هذه الأخطاء، عندنا أخطاء نتجنبها في الاستضعاف، أثناء النَّجاة، أثناء التَّمكين، يجب ألا نرتكبها، وقصة بني اسرائيل نبراس لهذه الأُمَّة.

وفي سورة الإسراء، السُّورة ذكرت الإسراء للمسجد الأقصى ولم تذكر المعراج، لأن القضية الهامة هنا هو الإسراء –سورة النَّجم ذكرت المعراج لغرَض آخر– الإسراء– السير ليلا–هو الانتقال للمسجد الأقصى، **والمسجد الأقصى دائمًا هو مقياس التَّمكين في الأرض**، الذي يُسيطر على المسجد الأقصى هو في الغالب الذي له التَّمكين في الأرض، فالإسراء للمسجد الأقصى معناه انك ستنتقل من مرحلة {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...(3)} سورة نوح. إلى مرحلة {...آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(٢)} سورة الإسراء، بُشرى أنَّكَ ستُؤتى الكتاب، لذلك جاءت الوصايا العشر أيضًا في أول سورة الإسراء، مثلما ذكرت هنا الوصايا العشر وبعدها ذكر البُشرى بالتَّمكين {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)}سورة الأنعام.

أرجو أن تكون الفكرة واضحة . 🌹🌹

{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ(١٥٤)}سورة الأنعام. نِعَم الله الدِّينيَّةَّ عليك على حسب إحسانك في تطبيق ما أنزل إليك من الوصايا الثابتة، بعض النَّاس يعامل ربنا بالعكس، هو حاليا في واقع معين، الواقع مثلًا مُغلَق غير مفتوح، واحد نفسه يجاهد في

سبيل الله، وواحد نفسه يتعلم، وواحد نفسه يعمل أعمال في الدين، نفسه ينتشر في الدعوة لكن الواقع حوله مُغلَق!، ربنا يقول لك: أحسِن في هذا الواقِع أفْتَح لك ما تُريد من واقع آخر، لكن نحن نقول لربنا افتح لي واقع آخر لكي أُحسِن، لا... الله عزَّ وجلَّ اختار أن تكون موجودا في هذا الزَّمان تحديدًا، الله يتعبَّدك بوجودك في هذا الزَّمان، كُل زمان لهُ عبوديَّة، مثلما كُل وقت في اليوم له عبوديَّة، الثُّلُث الأخير من الليل غير ساعة الظُّهر غير ساعة الضُّحَى، وأيضا من العبودية إنك في فترة معينة تُمنع من الصلاة، يُكرَه فيها الصَّلاة، هذه عبوديَّة، مثل عبوديَّة أنك لا تأكل فترة الصَّوم، وعبوديَّة أنك تأكل مع أذان المغرب ولا تؤجل الإفطار، يُكرَه أن تؤجل الإفطار، إذًا هناك عبوديَّة إنك تمسك وعبوديَّة إنك تأكل، فمثلما تختلف العبوديَّات مع الأزمنة في اليوم الواحد، كذلك على مرّ الزَّمان العبوديَّات تختلف، أن تقوم بالعبوديَّة المطلوبة منك في الزمن والوضع الذي أنت فيه وتُحسِنها يفتح الله عزَّ وجلَّ عليك، {...آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...(١٥٤)} سورة الأنعام لماذا؟ {...تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)} سورة الأنعام، لأنهُ أحسَنَ في مُعاملةِ الله عزَّ وجلَّ وفي تطبيق أوامر الله عزَّ وجلَّ، {...وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...(١٥٤)} سورة الأنعام ، والتَّفصيل سيأتي في سورة الأعراف أنه رُفِع وحُرِم مِنهُ بني اسرائيل {...وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ(١٥٤)} سورة الأنعام.

{وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...(١٥٥)}سورة الأنعام. ربنا ذكر وصفين للكتاب أنهُ من عِندِ الله {أَنزَلْنَاهُ}، وأنهُ {مُبَارَكٌ}، مُبارك: أي أكثر بركة من التَّوراة ومُهيْمِن عليه، والبركة... كنا تكلمنا عنها في شرح آيات سورة الفرقان-في درس مرحلة الفُرقان- عن معنى البركة بالتَّفصيل والمعنى اللُّغَوي. وهو الخير الدَّائم الثابت المستمر المتزايد، فكذلك القرآن هو خير ثابت مستمر دائم متزايد إلى يوم القيامة، {وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...(١٥٥)} سورة الأنعام. بما أن الكتاب من عِند الله وبما أنه مُبارك إذًا فاتَّبِعوه فالذي يُعرِض عن القرآن إنسان غير عاقل، ما معنى اتبعوه؟ الإمام الطَّبري قال معنى رائع... اتبعوه أي: اجعلوه إمامًا لكم، بمعنى أن

تكون دائما وراءه: {...لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...(١)} سورة الحجرات، لا تتحرك قبل القرآن، لا تأخذ فعل ولا قرار إلا بعدما تبحث في القرآن أولا، لا تتقدَّم القرآن، فاتبعوه أي: اجعلوهُ إمامًا لكُم.

{وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا...(١٥٥)} سورة الأنعام. لكن احذر أثناء اتّباع القرآن أنك تميل إلى إفراط أو تفريط... غلو أو تساهل، احذر! {...وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٥٥)}سورة الأنعام.

الله عزَّ وجلَّ أنزَلَ الكتاب لحِكَم كثيرة منها: العرب كان عندهم فخر وكان عندهم ثقة في النفس عالية جدًا، لكن كان لديهم شعور بنقص أنهم ليس لهم كتاب سماوي، فكانوا يشعروا أنهم أفضل من اليهود والنَّصارى في الأخلاق وفي اللُّغة، وكان العرب يسمُّوا غير العرب "الأعاجم"، وكانوا يسموا الدواب أيضا" عجماء أوعجماوات"، فكان بالنسبة لهم من لا يتكلم العربية كأنه لا يتكلَّم أصلًا، هذا من شدّة فخر العرب بلُغَتِهِم وبِشِعْرِهِم وبأَنْسَابِهِم وبأَخلاقِهِم وبأفعالِهِم، وهذا الفخر جاء القرآن أصلحه ليصبحوا أمة تصلُح لتلقّي الرِّسالة، لأن كان عندهم أخلاق فاضلة فعلًا، نعم كان عندهم أخلاق سيئة، لكن كان عندهم أخلاق تصلُح لتلقّي الرِّسالة، لكن كانت الإشكالية أن هذه الأخلاق لا بُدَّ أن تنضبِطْ بالوحي. كانوا يشعرون بنقص أن أهل الكتاب عندهم كتاب وهم ليس لهم كتاب... وكانوا يرفضون اتباع كتبهم ويعتبرونهم أُمَّة ناقصة، والبعض قال: "لا، بل اليهود والنَّصارى كانوا مزمزمين الدعوة لئلا تنتشر".

إذا لماذا لم تنتشر بين العرب أديان أهل الكتاب؛ اليهودية والنصرانية ؟ بعضهم قال: "كان أنَفَة من العرب"

والبعض ممن حاول تحليل الموضوع قال: "لا، اليهود والنصارى كانوا مزمزمين دعوتهم لدرجة أن اليهود كانوا يستوطنون المدينة ولا ينشروا دينهم، بالرغم من وجود عرب مشركين حولهم،

نعم اليهود في مكة كانوا قليلين أو كانت مجرد زيارات من اليهود والنَّصارى فقط لها، لكن الوضع في المدينة كان مختلفا، ومع ذلك لم ينشروا دينهم بين أهل المدينة. فكانت العرب دائمًا يقولوا: "مشكلتنا أن ليس لنا كتاب، لو ينزل علينا كتاب سماوي ورسول! {أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ(156)} سورة الأنعام

كحال كثير من النَّاس يتحجج، لِمَ لا تحفظ قرآن؟ يرد: المشكلة فقط أن ليس هناك تحفيظ في المسجد، المشكِلة أن ليس هناك كذا!، طبعًا هذه حجج واهية ، والله عزَّ وجلَّ يُبْطِل لهم هذه الحُجَّج، ويظل لا يحفظ ولا يلتزم ولا يقوم الليل ...إلخ، دائما يُعلِّق تأخره على أشياء...مثلًا لا يوجد شيخ، لا يوجد من يحفظني على النت، ليس عندي كذا، ليس عندي كذا... ويُرزَق الشيء الذي هو حجته ثم... ثم لا يسير في هذا الطَّريق، إذًا هي مجرد حجة فارغة!!!

كذلك كان العرب يقولون: نحن مشكلتنا أن ليس لنا رسول ولا كتاب، واليهود والنصارى لديهم {...وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ(١٥٦)} سورة الأنعام. كلمة الدراسة فيها معنى التفخيم، ويقللوا من شأن أنفسهم، فيقولوا نحن كنا غافلين عن هذه الدراسة، كنا جَهَلَة، فلو أن عندنا كتاب، والآية اللي تليها: {أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ...(١٥٧)} سورة الأنعام. لو أصبح عندنا كتاب {...لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ...(١٥٧)} سورة الأنعام. لم يقولوا سنكون مثلهم؟ لأنه هو يرى نفسه أفضل، وفعلًا العرب فيهم صفات كانت أفضل، فيقولوا: لو ينزل لنا كتاب سنكون أكثر هِداية منهم!، فكان كلا الفريقين منتظر نزول الكتاب، وبعثة الرَّسول الخَاتَم، اليهود ينتظرونه والعرب ينتظرونه، فلما جاء: {أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ...(١٥٧)} سورة الأنعام، نفس التَّفصيل ونفس الهُدى والرَّحمَة، هنا البيِّنَة زيادة أيضا عن التَّفصيل، أي ليس تفصيل فقط... لا، بل تفصيل واضح مُبَيَّن. ربنا قال على كتاب موسى: {...تَفْصِيلًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً...(١٥٤)} سورة الأنعام. هنا قال بيِّنة وهُدى ورحمة، فما الذي حدث؟ كذَّبوا!!! {...فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا...(١٥٧)} سورة الأنعام، ما المعنى؟... دائما الإنسان الذي يتكلم كثيرا ويضع حججا: لو يحدث كذا ستجدني ملتزما مباشرة! لو يكون بجواري تحفيظ!، لو أجد شيخ يحفظني!، لو أجد فرصة لطلب العلم!، لو أجد فرصة للجهاد، لو أجد فرصة للإنفاق في سبيل الله، لو ربنا يرزقني...لو... دائمًا الذي يقول كثيرا "لو" ولا يعمل عمل الفترة التي يعيشها هذا غالبا لا يعمل أي شيء، اعمل فكل وقت له عبودية... قلنا{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)} سورة الأنعام. كن مُحسِنا في الوقت الذي أنت فيه حتى يُتم الله عزَّ وجلَّ عليك النعمة، أحسن في الفترة التي أنت فيها، لا بُدَّ أن تُحسِن، قُمِ اللَّيْل، اعمل في الأبواب المفتوحة، لا تشترط على الله عزَّ وجلَّ، لا تشترط أبواب معينة تُفتح.

أيضا نحن تكلمنا عن خطورة أن هناك من الناس {...مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ...(١١)} سورة الحج. وقلنا أن هناك أيضا من الناس من يعبُدُ اللهَ على شَرْط، يشترِط على ربنا لكي يعبده! وهذا خطر جدًا{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ...(١٥٧)} سورة الأنعام.آية تُفحمه وتجعل ليس له أي حُجَّة، يقول: أنا لم أكن أعبد لأن لم يكن عندي كتاب، واليهود كان عندهم كتاب وكانوا يحرموننا من دراسته، كان عندهم دراسة عظيمة وحرمونا منها، {...وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ(١٥٦)} سورة الأنعام، {أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ...(١٥٧)} سورة الأنعام. كأنها أيضا إشارة: لن أتَّبع كتابهم، أنا أريد كتابا ينزل لي {...لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ...(١٥٧)} سورة الأنعام. فلما نزل لهم الكتاب ماذا فعلوا؟ كذَّبوا بآيات الله وصَدَفوا عنها.

تكلمنا عن الصَّدَف، في القرآن لم يأتي إلا في سورة الأنعام، فعل صَدَفَ: هو أشدّ الإعراض، وقالوا الصَّدَف أصلها من الشيء الأملس... قالوا من يُعرِض: يسمع ثم يُعرِض...

الإعراض أعطاهُ عارِضَهُ، بمعنى بعدما اقترب منه اعطاه جنبه ثم تركه وذهب، الصَّدَف: من دون أن يقترب منه ابتعَد عنه وانصرف، كأنه انزلق بعيدا عنه ، وأصل الصَّدَف في اللغة: مرض يُصيب بعض الدَّوابّ يجعل أرجلها تلف وتتجه اتجاه آخر، تحاول تمشي في اتجاه مستقيم تجدها تلف لاتجاه آخر، الدَّابَّة لا تستطيع المشي في اتجاه مستقيم ، هذا مرض.

ومن عجيب تعبيرات القرآن إنه يُعبر عن الأمراض النَّفسيَّة في صورة أمراض ماديَّة موجودة، مثال آخر {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ...(١٨)} سورة لقمان.التَّصعير هذا مرض يُصيب الإبِل، يجعل النَّاقَة تكون رأسها مرفوعة لفوق ورقبتها ملتفة، لا يمكنها أن توجهها اتجاه صحيح، لا تستطيع، تشبه مشية المتكَبِّر، يمشي بنفس الصورة، كأن المتكبِّر لا يمكنه أن يعدل نفسُه أصلًا، هو مريض بمرض الكبر، مثلما الإبل مريضة.

كذلك الصَّدَف هذا مرض... فهؤلاء المعرضين مرضى. فأحيانًا التعبير القرآني يستعمل نوع من المرض الحسي... مثل: حُبوط الأعمال... هذا مرض، الدَّابَّة تظل تأكل حتى تملأ بطنها وتموت. فاستعمال التَّعبير بالمرض الذي كان موجودا عند العرب في الدَّوابّ وإسقاطها على أمراض معنوية موجودة عند النَّاس هذا من عجيب التعبير القرآني، فالصَّدَف هو شدَّة الإعراض، {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن...(٣٢)} سورة الزمر.قاموا بشيئين : {...كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا...(١٥٧)} سورة الأنعام.بعض العلماء قال: "صَدَفَ عنها ليس فقط هو الذي أعرَض، بل أيضا يجعل النَّاس تبتعِد عن القرآن، صَدَفَ عنها أي: جعَلَ النَّاس يُعرِضون عن القرآن"، فصَدَفَ عنها وجدت بعض العلماء يفسرها أي: صدَّ عنها، لكن حقيقةً غالِب المفسِّرين قال: صَدَف أي هو بنفسه أعرض ، لكن الإمام الزَّمخشري وتبعه بعض العلماء مثل الإمام البيضاوي والقاسمي وغيره قالوا: صَدَفَ عنها أي: صَدَّ النَّاس عنها، لماذا قالوا هذا؟ قالوا:{...كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ...(١٥٧)} سورة الأنعام. في نفسه، ثمَّ {...صَدَفَ عَنْهَا...(١٥٧)} سورة الأنعام. أي: صدَّ النَّاسَ عنها، فارتكب بذلك أعلى جريمة فقال ربنا {...سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ...(١٥٧)} سورة الأنعام. كما قال

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ...(٨٨)} سورة النحل، دائما الذي يجعل النّاس تُعرِض عن القرآن عذابُه أشدّ من الذي يُكذِّب بالقُرآن، الذي يجعل النَّاس تُعرِض عن القرآن عذابُه أشدّ من المكذِّب في نفسهِ بالقرآن –والعياذُ بالله– {...سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ(١٥٧)} سورة الأنعام.

نصل بهذا لآخر السُّورة ونبدأ بالختام...

نسترجع سويا سريعا ما الذي حدث خلالها... في سورة الأَنعَام ومن أول لحظة فيها ربنا جل وعلا يعرف بنفسه وبأفعاله: الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ السَّماوات والأرض وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّور وجعَلَ النُّور واضح، وبيَّن للنَّاس طُرُق الظَّلمات لكيلا يسلكها أحد، ومن أول لحظة ربنا قال إن النُّور واحد والظُّلُمات شتَّى، كما ورد أيضا في نهايات السورة : {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...(١٥٣)} سورة الأنعام. ويأتي الختام بما سيقوله النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ثلاثة آيات قُل قُل قُل،((البيان الختامي لسورة الأنعام))، فمن البداية ربنا قال إن الأمور واضحة، ومن أول لحظَة في السُّورة هم يُعرِضوا، لفظ الإعراض عن الآيات في الأول{وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ(٤)} سورة الأنعام. وهنا وصل ل {...صَدَفَ عنها...(١٥٧)} سورة الأنعام. ليس فقط أعرَضَ عنها، الآيات خلال السورة خاطبته عن حاله وهو في وسط البَحر، استثارت فيه مشاعِر الخوْف، واستثارت فيه مشاعِر الرَّجاء، وناقشتهُ بالعَقْل، قال :أريد آية حسية!...قالت له سر في الأرض وتأمل مصارع وهلاك المكذِّبين بنفسك، ثم جاء نموذج سيِّدنا إبراهيم سواء كان ناظر أو مُناظِر، وخاطبته: هذه ملة أبيك إبراهيم الذي تفخر بالانتماء إليه...استعرضت الأقوام السَّابقين، حاصرته من كل الاتجاهات، عرضت عليه كل الآيات، كلمته بكل الوسائل... بفالق الحبِّ والنَّوى، فالق الإصباح، كلمته عن الثَّمَر والزَّرع من الذي أخرجها، من الذي أخرج الحبّ المتراكِب مُشتَبِهًا وغيرَ مُتشابِه، طوَّفت به طُوال

السُّوَرة، وكل مرة أريد آية، أريد آية، لا يكتفي بكل هذه الآيات التي حوله والإعراض مستمر.

ثم ينتقل من الإعراض إلى "صَدَفَ عنها"... المرأة الصدوف: التي يحبها زوجها ويتقرَّب إليها وهي تُعرِض عنه، أيضا العرب تستعمل هذه اللَّفظة كما قلنا هذا مرض يصيب الدواب لا يمكنها المشي في استقامة...وصلنا في هذه المرحلة لقمَّة الإعراض وقمَّة الصدوف الذي ورد ثلاث مرات في هذه الآية {...فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ(١٥٧)}سورة الأنعام.

أنتم لم تعجبكم كل الآيات التي وردت في السورة... لا آيات القرآن ولا آيات الخَلْق، ولا آيات الثِّمار، ولا المناقشَة، ولا المناظرَة، ولا المِجادَلة، ولا قِصَّة سيدنا إبراهيم، ولا الأنبياء الثمانية عشر الذي ورد ذكرهم في السُّورَة، ولا أي شيء؟ ماذا تنتظرون إذًا؟! قلتم ننتظر كتاب ونزل الكتاب، ماذا تنتظرون؟ {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...(١٥٨)} سورة الأنعام. أنتم لا ينفع معكم إلا أن تقوم القيامة... وقتها ستقولوا آمنَّا، لكن سيكون قد فات الأوان؟ {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...(١٥٨)} سورة الأنعام، بعض الآيات فقط، ربنا هنا قال {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...(١٥٨)} سورة الأنعام. إتيان الله عزَّ وجلَّ هذا أعظَم آية سُبحانهُ وتعالى، إتيانٌ يليقُ بجلال سُلطانِه، وإتيان الملائكة شيء عظيم، وبعد ذلك بعضُ آياتِ ربك هذا ترتيب الآية ، فمُجرَّد إتيان بعض الآيات- والنبي صلى الله عليه وسلم فسَّرَها بطلوع الشَّمس من مغربها-، بعض آيات ربك فقط سيقولوا آمنَّا!!! عجبا!!! طوال السُّورَة أدعوك للإيمان ، طوال السُّورة اعرِض عليك وأناقشك وأُطوِّف بك في كون الله وآياته وأخوِّفَك، وأستثير الضَّعف البشري بداخلك لكي تتضرَّع {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ...(٤٣)} سورة الأنعام، طوال السُّورة ربنا يطوِّف بك لكي تؤمِن فلِمَ قمَّة الإعراض هذه؟!!

سورة الأنعام تصور قمَّة الوضوح مع قمَّة الإعراض، سورة الانعام تُوضِّح قمَّة الآيات في الكون مع قمَّة الإعراض، لذلك السورة فيها أشواط تدبُّريَّة عاليَة جِدًا، ورد بها أعلى لفظ في الإعراض[صدف]، وأتى فيها أعلى ألفاظ الوضوح، كلمات [بصائر، وبيّنَة، وهُدَى، وتفصيل]هذه الألفاظ كُلها جُمِعَت في سورة الأنعام، وتفرَّقت في سُوَر أُخرى لكنها جُمِعَت في سورة الأنعام، كذلك أعلى لفظ عن الإعراض خُصِّصَت به سورة الأنعام، شيء عجيب! قمَّة الوضوح مع قمَّة الإعراض.

ماذا تنتظرون إذًا؟ إذا لم ينفعكُم القرآن! {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ(١٥٨)} سورة الأنعام. {...يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ...(١٥٨)} سورة الأنعام. بمجرد رؤية بعض الآيات يقول: آمنت! كما ورد أيضا في سورة الدُّخان {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١١)} أول لما رأى الدُّخان قال: { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ(١٢)} من بداية آل حم- في سورة غافر- والآيات تحاول اقناعه حتى وصلنا لسورة الدُّخان ولايزال يُجادِل... {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ...(٤)} في أول سورة غافِر، من أول آل حم وأنا أعرِض عليك الآيات، بمُجرَّد رؤية الدُّخان قال آمنت، لماذا؟... كحال فرعون؛ رأى العصا، واليد، والطُّوفان، والجَراد، والقُمَّل، والضفادِع، والدَّم آيات مُفصَّلات، ثم البحر ينشقّ أمامه... وفي النهاية وهو يغرق يقول: {...آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ...(٩٠)} سورة يونس. {آلْآنَ}؟!!

فهنا {...يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ...(١٥٨)} سورة الأنعام. هذا بالنسبة للمشركين.

أما بالنسبة لعصاة المؤمنين المعرِضين عن الأعمال: {...أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...(١٥٨)} سورة الأنعام. أسلوب القرآن يجمع، الكافِر حين يرى الشَّمس تخرج من المغرب سيقول آمنت، والمؤمن العاصي حين يرى الشَّمس تخرج من المغرب ينوي الصلاة ويُكبر :"اللهُ أكبر"، الآن "اللهُ أكبر"؟ الآن ستصلي؟ الآن "أنا نويت أصوم"...ءالآن؟! سيبدأ "يكسب في إيمانه خيرا"

- ما معنى {...أو كسبت في إيمانها خيرًا...} سورة الأنعام؟

أي أن هناك ناس مؤمنة لكن لم تكسب الخير في إيمانها، لم تكن تزيد هذا الإيمان بالأعمال، كان بالتعبير الدارج –مكبَّر دماغُه– فبمجرد أن يرى بعض آيات ربك يبدأ يجتهِد في الطّاعات!، هنا لن ينفعه هذا... وبعض العُلَماء هنا قال: {...أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...(١٥٨)} سورة الأنعام. قال: هذا التَّوْبَة، خَصَّ المعنى هنا بالتَّوْبَة، قال حين يرى آيات يوم القيامة يقول: "تُبتُ الآن"ولن تنفعه الآن!...

- مفاصلة

{...قُلِ انتَظِرُوا...(١٥٨)} سورة الأنعام.طالما كل ما سبق خلال السورة لم ينفعكم ومنتظرين آية... فلتنتظروا {...انتَظِرُوا...(١٥٨)} سورة الأنعام. ألستم تنتظرون آية؟ انتظروا الآية، اتركهم ينتظروا ...انتهى! هذا هو الختام.

هنا تجد الخطاب أصبح شديدا... مُفاصَلة... لم يعد منشغلا بهم.

هنا النبي صلى الله عليه وسلم في الختام يتكلم عن نفسه... انتهى من الحديث معهم... ويتكلم عن الطريق الذي سيسلكه هو {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي...(١٦١)}سورة الأنعام. {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي...(١٦٢)}سورة الأنعام. {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ...(١٦٤)}سورة الأنعام. ثلاثة آيات متتالية {قُلْ} خلاص أنت لن تلتفت لهم يكفي هذا، أنت طوال السُّورَة وأنت تتكلم معهُم، فهنا أنتم >>>{انتَظِرُوا}...وأنت ماذا ستفعل؟ الآيات فيها تهديد، فيها عذاب،

وأنا >>>{إِنَّا مُنتَظِرُونَ} أمر عجيب جدًا!، لم يكن رده مثلًا (انتظروا أنا سأجعل ربنا ينزل عليكم العذاب) (انتظروا خمسة وثلاثين ألف يوم والسَّاعة ستقوم)... {انتظروا} أنا لا أعلم ، أنا عبد أيضا وسأُحسِن في الطَّاعة حتى يُتِمّ الله عزَّ وجلَّ عليَّ النِّعمة {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ...(١٥٤)}سورة الأنعام. {...قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ(١٥٨)} لأن أنا عبد {...قل انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ(158)}سورة الأنعام.

- {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(١٥٩)}سورة الأنعام.

في سورة الأنعام عدة إشارات لأهل الكتاب، بعض العُلَماء قال المقصود بهذه الآية أهل الكتاب.

ماهي علاقة هذه الآية بأنهم يصدِفوا عن الآيات و لم ينتفعوا بالآيات؟كان من أهم أسباب إعراض المشركين –وإن كان ليس بعذر لهم– الشَّتات الموجود ورأوه بين اليهود والنَّصارى، {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا...(١٥٩)}سورة الأنعام. إن كان الدين واحد، ربنا لم يقل "فرَّقوا أديانَهُم"، بل قال: {...فَرَّقُوا دِينَهُمْ...(١٥٩)}سورة الأنعام، هو أصلًا دين واحد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور...(١)}سورة الأنعام {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...(١٥٣)} سورة الأنعام. {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ...(161)} سورة الأنعام.هو دين واحد، صراط واحد، سبيل واحد، نور واحد، تفريق اليهود والنَّصارى واختلافهُم وتنازعهم مع بَعض، وابتعادهُم عن مِلَّة إبراهيم جعل النَّاس تكفُر وتشُكّ في الدِّين، بل اليهود تجرَّأوا وقالوا عن المشركين {...هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا(٥١)}سورة النساء، يقولون عن المشركين أنَّهُم أهْدَى من المؤمنين!!!، وكان المشركين لما يحبُّوا يتحجَّجُوا لرفض الدِّين يقولوا للمُسلمين عن النَّصارى {مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ(٧)} سورة ص، بعضهم قال إن {مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ

الْآخِرَةِ...(٧)}سورة ص. أي ملة النَّصارى... يعنون أن النَّصارى عندهم" التَّثليث" ونحن عندنا "آلهة"... مثلما النَّصارى عندهم "ثلاثة"، نحن عندنا "عشرة" ماهي المشكلة في ذلك؟ ما موضوع التَّوْحيد الذي تدعو أنت إليه؟!...فأحيانًا الذين أُوتوا الكتاب كانوا السَّبَب لصدّ النَّاس عن الدِّين.

وهذا خطورة إن العاملين للدِّين يتنازعوا ويُفرِّقوا الدِّين شِيَعًا ويُقطِّعوا الدِّين شِيَعًا فيصرفوا النَّاس عن الدِّين، لهذا عقوبة شديدة جدًا، يذوقوا العذاب الشَّديد بسبب صدّ النَّاس عن الدِّين، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ في سورة النَّحل: {...وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ...(٩٤)} سورة النحل.أنهم صدُّوا النَّاس عن الدِّين بسب التَّفرِقَة، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ...(١٥٩)}سورة الأنعام.

ماذا فعلوا؟ جاءوا للدِّين وأخذوا منه جزء، و قالوا هذا هو الدِّين كُلُّه وأقنَعوا أتباعهم إن هذا هو الدِّين كله، فالأتباع لجهلهم تعصَّبوا فتشيَّعوا... ثم جاء آخر نظر لوضع هذه الفرقة قال: ما هذا؟ الدِّين هذا ناقِص، فأخذ جزئية من الدِّين كانت ناقصة عند الأول وقال له: ما معك ليس الدِّين، ما معي هو الدِّين، وأقنع أتباعه إن ما معه هو الدِّين... وهكذا، فأصبحوا شِيَعًا.

كلمة شِيَعًا وردت معنا قبل هذا، أخذناها في سورة الأنعام أيضا: {...أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ...(٦٥)}سورة الأنعام. وقلنا إن مرحلة البأس، كيف يصبح بأسنا بيننا شديد؟ يبدأ أولا يحدث اللبس في الدِّين {...أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ...(٦٥)}سورة الأنعام. ثلاثة مراحل كنا قلناهم المرحلَة الأولى اللَّبس، إن الدِّين يصبح غير واضح للنَّاس، فنصبح شِيَعا ثم يصبح هناك بأس بيننا.

فربنا يقول هؤلاء عقوبتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يتبرأ منهم، كثير من العُلَماء حمَل هذه الآية ليس فقط على اليهود والنَّصارى...فقالوا: "وإن كانَ السِّيَاق يقول إنها ممكن في

اليَهود والنَّصارى لكِن هي أيضا تشير لكُلِّ فرقةٍ ضالَّة فرَّقتِ الدِّين، وكُلّ من ساهم في تفريق المسلمين لهُم نصيب من هذهِ الآية"، وكانت أمُّ سَلَمَة تقول: "فليَتَّقِ امرؤٌ أن يتبرَّأَ منهُ النبيُّ صلى الله عليهِ وسلَّم وتذكُر هذهِ الآية، وكانت تذكُر هذهِ الآية وغيرُها من الصَّحابة يذكرون هذه الآية في الذين خرجوا على سيِّدنا عُثمان رضي اللَّه عنه، و الفُرقَة اللي حدثت بعد سيِّدنا عُثمان...كانوا يُخَوِّفوا النَّاس منها بهذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...(١٥٩)} سورة الأنعام. النبي صلى الله عليه وسلم يتبرأ منهم، وقيل {...لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...(١٥٩)} سورة الأنعام.أي لستَ لك في هِدايتِهم من شيء، أي لن تستطيع أن تَهدِيَهُم... المتَعصِّب، المتَشيِّع هذا مستحيل... مستحيل أن تهديه، هؤلاء {...إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ...(١٥٩)}سورة الأنعام.هدايته من عند ربنا، أنت مهما حاولت معه بالحُجَج في الغالِب لايستفيق، على حسب ما شيخه أو المتشيع الذي يتبعه يتجه هو معه {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(١٥٩)} سورة الأنعام.

إذًا تفريق وتقطيع الدِّين خطر جدًا {...كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(٣٢)}، يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا...(٥٣)} سورة المؤمنون.في سورة المؤمنون، كان هناك معنى جميل جدا ذكرَهُ الشيخ سلمان العودة في كتاب "كيف نختلف" يقول {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا...(٥٣)}سورة المؤمنون.الزُّبُور هو الصحيفة من الدِّين، فيقول: "كل واحد لما جاء يقطِّع قطَّع جزءاً من الدِّين، الكتاب المفروض يظل مجموعا، فكأنهم قطَّعوا بعض الأوراق من الدِّين وقالوا عليه هذا هو الدِّين، ثُمَّ فرِحَ بهِ {...كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(٣٢)} سورة المؤمنون.

هذه مصيبة، ونَفسْ المعنى ذكره ربنا في سورة الأنعام أيضًا... أن{...تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ...(٩١)} سورة الأنعام.هذه جريمة، إن القرآن ينقسِّم جزئيات، قراطيس: مثلما قلنا، الكتاب ينقسِّم لملفات وكل ملف ينفصل عن باقي الدين ، فكل طائفة تأتي تُعجَب

بجزئية من الدِّين، هذه الطائفة تُعجَب بالدَّعوَة، وهذه تُعجَب بالجِهاد، وهذه تُعجَب بالعِلم، وتلك تُعجَب بالسِّياسَة الشَّرعيَّة، وكل فرقة تُقَطِّع جزئية عن بقية الدين، ويقول للفرقة الأخرى الدين معك ناقص والأتبَاع يُصفِّقون لطائفتهم، وتقوم الشِّيَعْ وتحدُث الفُرْقَة ويحدُث البأس بيننا، {إن الذين فرَّقوا...(١٥٩)} سورة الأنعام. الدين لابد أن يظل مُتكامِلا، {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ...(١٥٩)} سورة الأنعام. هذهِ الآية أيضًا أهلِ القِبْلَة- المسلمين-لهم منها نصيب ...الآية اللي قبلها {...لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ...(١٥٨)} سورة الأنعام. في المشركين {...أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...(١٥٨)} سورة الأنعام. في أهلِ القِبْلَة.

أيضا{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ..(١٥٩)} سورة الأنعام. كما أنها تصلُح لليهود والنَّصارى أيضًا هي في الذين فرقوا دين الإسلام من المسلمين.

- حَسَنَة عظيمة

{مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...(١٦٠)} سورة الأنعام. الإمام الطَّبَري يقول معنى غريب جدًا ورائع جدًا في هذه الآية يقول: "الحسَنَة هنا التَّوْبَة من الفُرقة وإن هذه حسَنَة عظيمة" من يقدَر أن يرجع بعد ما فرَّق ويُجمِّع الناس على التوحيد هذه حسنَة عظيمة، لذلك كثير من السَّلف على أن الحسَنَة هنا "لا إلهَ إلا الله"، فمن يجمَّع النَّاس على التَّوْحيد مرة أخرى بعد ما تَفرَّقوا هذهِ حَسَنَة عظيمة {مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(١٦٠)} سورة الأنعام.

هنا يبدأ البيان الختامي لسورة الأنعام، هنا النبي صلى الله عليه وسلم يقف ويُعلِن بعد كل ما مضى من النِّقاش والجِدال والتَّوْضيح -كما ذكرنا كميَّة النِّقاش والوضوح- وتجِد أنَّ السُّورة تكلمت عن العقيدة في الله لكن بأسلوب عجيب غير أي كتاب آخر، استثارت لحظات

الضَّعف عند الإنسان، الإنسان مهما أصبح معه أسباب تمكين سيظل إنسانا ضعيفا، الضَّعف محيط به من كلِّ جهة، من داخله ومن خارجه... قَطرة دَّم لو توقفت في مُخِّه يصبح مشلولا، بعوضة يمكن أن تضايقهُ وتهلكه، حتى نومه ينام قهرا دون إرادته، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...(١٨)} سورة الأنعام. قالوا من معاني القاهر: يُقهر الإنسان على النَّوْم، فالسُّورَة طوِّفت بِكُل ذلك ...تقهره، ليعلم أن له ربًا... ليقول: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(١٦٤)} سورة الأنعام. أي: أَغَيْرَ اللهِ الذي أخبرتُكُمْ بصِفاتِهْ في هذهِ السُّورَة أبغي ربًّا؟!

لماذا السُّورة سميت "الأنعام"؟ سنذكرها في النهاية.

- الدين الشامل

{قُلْ إِنَّنِي...(١٦١)} سورة الأنعام. الختام الآن، أنا ربنا وصَّلني للنُّور، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور...(١)} سورة الأنعام. مثلما قالها سيِّدنا إبراهيم بعدما ربنا سبحانه وتعالى اجتباهُ وهَداه فقال: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ...(٧٩)} سورة الأنعام.هنا أيضا في الختام يقولها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتَّبع ملة إبراهيم يقول: {إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا...(١٦١)} سورة الأنعام. الذي أنا عليه هذا دينا وليس فِكرا أو رأيا، أو استنتاجا، أو تذوقا، أو مجرد معاني... هذا دين، ليست فكرة ستنضُب مع الزَّمان و نجد فكرة غيرها، لا...{...إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا...(١٦١)} سورة الأنعام، وهذا الدِّين قِيَم وفي قراءة {...قَيِّمًا...(١٦١)}سورة الأنعام. أي: هو قَيِّم: غير مُعوَجّ ويُقوِّم: أي اعوجاج في الأرض: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...(٩)}سورة الإسراء. أي اعوجاج في الأرض يُقوِّمُهُ القُرآن، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...(١٦١)} سورة الأنعام. وهنا يُذكَر إبراهيم مرَّة أُخرى بعد الموقع الجهادي الدَّعوي والتَّوْضيحي الذي قام به في سورة الأنعام، يُذكَر هنا مرة أخرى فيقول النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أسير على مِلَّة إبراهيم، ولكن أنتم

من بدّلتُم، أنتم من حرَّفتُم، أنتم تدَّعون أنكم تسيرون على ملَّة إبراهيم لا...، دائمًا تجد أهل الباطل يسرقوا مصطلحات أهل الحق.

مثلا تَجِد شيء عجيب جدا، لما تنظر في القوانين الوضعيَّة حتى الآتية من فرنسا وغيرها، تَجِد أنهم يستعملوا مُصطَلحات شرعيَّة: المشرِّع، الفَرْض، تجدهم يستعملوها، وأشار لذلك الشيخ "أحمد شاكِر" في حاشيته في عمدة التفسير لابن كثير أنهم يستعملوا المصطلَحات الشَّرعية في القانون الوضعي، ليُضفوا على كلامهم صبغة شَّرعيَّة، فهم يدَّعون هنا أنّهُم أتباع سيِّدنا إبراهيم، لا... أنت تسحب هذا المصطلح منهم، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٦١)} سورة الأنعام. ما هي ملة إبراهيمَ حنيفًا؟ ما هو دين إبراهيم؟ هو الدين الشامل: {...إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)} سورة الأنعام.

ما هو دين سيِّدنا إبراهيم؟ الدِّين الشَّامِل، ربنا ذَكَرْ أربع أشياء، أنت مأمور أن تذكر الأربعة، فحين تُعرَّف دينك تعرفه كاملا، الدِّين إذا عُرف بغير هذا يكون دينا ناقصا، ليس هذا هو الدِّين، فمن يقول إن "صلاتي ونُسُكي لله رب العالمين" فقط هذا تعريف ناقص، الدِّين إذا وُصِّل للناس إنه صلاة ونُسُك فقط يكون دينا ناقِصا، ليس هذا دين رب العالمين، ليس هذا ملة إبراهيم، هذا دين ناقِص، هذه هي العلمانيَّة[أيضا العلمانيَّة تترك جزءاً من النُّسُك – صلاتي فقط– وليست صلاة صحيحة]، فالدِّين شامِل متكامل، (((**الحياة كلها لله**)))

{...إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...(١٦٢)} سورة الأنعام. لماذا هؤلاء الأربعة؟ الصلاة هي أعظَم العبادات ومثال لكل عبادة بين العبد وبين ربه، مثل الذِّكر، والصيام، هذه عبادة الإنسان لله سبحانه وتعالى... قد يكون الانسان في مكان وليس له أي علاقة بمن حوله وتكون علاقته بالله غير ظاهرة للمجتمع، بينه وبين الله فقط،

هذه الصلاة: {...إِنَّ صَلَاتِي...(١٦٢)} سورة الأنعام، وربنا بدأ بها لأنها الأهمّ، ويقوم عليها كل شيء، عمود الإسلام،.. {...ونُسُكي...(١٦٢)} سورة الأنعام.

- ما معنى نُسُكي؟

العُلَماء اختلفوا في كلمة نُسُكي، بعضهم قال: "أي قربان أُقدِّمُهُ، أي بذل أبذله... الذَّبائح، وقالوا هذا له علاقة باسم السُّورَة "الأنعام" و ما جاء ذكره فيها كالميتة اللي ذُكِرَتْ وبتحريمهم لبعض الأنعام، فهو **ردّ على المشركين** إن النُّسُك -الذَّبائِح، القُربان، الأطعِمَة- لا تكون إلا لله جل وعلا ، هذا قول أن النُّسُك هنا المقصود به القُربان، كُل ما يُقدَّم لله من مال، من ذبائِح، هذا يُقدَّم خالِص لله، لو سيُقدَّم بنيَّة التَّعبُّد والتَّقرُّب لا يكون إلا لله، فيَحرم أن تتقرَّب لصاحب قبر أن تذبح عند القبر، لكي يحل لك مشكلتك لا يجوز، هذا لا يكونُ إلا لله.

وبعضهم قال لا... النُّسُك المقصود به الشَّعائِر، **ما معنى الشَّعائِر؟** {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا...(٣٤)} سورة الحج. وقالوا إن المناسِك هي الحَجّ، وهذا المعنى أعمّ، وبعضهم أدخَل في النُّسُك العيد وصلاة العيد، كل أمة لها شعائِر، لها سَمْت، لها عيد، لها قواعِد، لها زِيّ بالنسبة مثلًا للنِّساء ممنوع أن تَتخطَّاه، لها شكل، كل أمة مميزة، فكذلك الإسلام جاء بشعائِر عامَّة، بأماكن عبادة لها شكل معيَّن، مثل عَرَفَة... أماكن مُعيَّنَة، والذَّبائح بطريقة مُعيَّنَة، ليس أي شيء يُذبح، وفرحة المسلمين لها طريقة مُعيَّنَة، وأيام العيد بعدد معين ... هذا كله يكون خالِصا لله، لا يصح أن نتلقَّاه من الغَرْب أو الشَّرق، فمثلا تلقِّي أيام العيد من عند الغرب هذا مخالفة في النُّسُك، النُّسُك لم يعد لله، تلقِّي الهيئة، الشكل الشعر واللبس ولبس المرأة وبالنِّسبَة للرجل شكل اللحية مثلا يكون بشكل معين، تلقِّيه من الغرب هذا يكون مخالف للنُّسُك الإسلامي، هذا النسك يكون لله، تتلقاه من دِّينك، تخيَّل إن الدِّين يشمَل عبادتك، حياتك... مشاعرك أولا وشعائرَك وشكلك وذبائحَك والقُربان ومالك، وبعد ذلك كل حياتك، فالآية خصَّصِت الصلاة والنسك ، النُّسُك- من أجل الذَّبائح

وآيات الميْتَة في السورة-، أو النُّسُك أعمّ من ذلك: هي كل شعائِر الإسلام، مثل الأذان، الأذان من شعائر الإسلام، رفَض النبي صلى الله عليه وسلَّم النَّاقوس[٢]، رفَض مُجرَّد وسيلة لجمع الناس للصلاة، كان ممكنا أن تكون كاليهود أو النَّصارى، لا، لنا شعيرة خاصَّة، جمع النَّاس للصلاة مختلِف عن وسيلة جمعهم للصلاة، والذي يقرأ كتاب مثل **"اقتضاء الصراط المُستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية**، يفهم كيف أن من مقتضيات إنك تسير على الصراط المستقيم أنك تخالف أصحاب الجحيم، بل المخالَفَة حتى للشَّيْطان، أنت لا تأكل بالشِّمال مخالفة الشِّيطان، لا تمشي بالحذاء في رجل واحدة لكي لا تتشبه بالشِّيطان، لا تشرب من الجزء المكسور في الإناء لكي لاتشبه الشَّيْطان، لا تصلي في أوقات معيَّنَة من أجل الشَّيْطان، كل هذا غيب لا تراه ومع ذلك أنت مأمور أن تخالفه، هذا بالإضافة لمخالفة الكُفَّار ، فلابد يكون لنا **سمت خاص**.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تَغْلِبَنَّكُم الأعراب على اسمِ صلاتِكُم العِشاء يُسمُّونها العَتْمَة وهيَ العِشاء)[٣] اسم الصَّلاة لا يجوز تغيَّره، سنصلِّي أربع ركعات باللّيل اسمها العَتْمَة،

---

[٢] - عن عبدالله بن زيد :عن عبدِ اللهِ بنِ زيدِ بنِ عبدِ ربِّه قال: لمّا أجمع رسولُ اللهِ ﷺ أن يضرِبَ النّاقوسَ يجمَعُ النّاسَ للصَّلاةِ وهو له كارهٌ لموافقةِ النَّصارى طاف بي طائفٌ من اللَّيلِ وأنا نائمٌ رجلٌ عليه ثوبان أخضران في يدِه ناقوسٌ يحمِلُه، قال: فقلتُ يا عبدَ اللهِ تبيعُ النّاقوسَ؟ قال: وما تصنعُ به؟ قال: قلتُ ندعو به للصَّلاةِ، قال: أفلا أدُلُّك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلتُ بلى، قال: تقولُ: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، أشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ أشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ، أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، حيَّ على الصَّلاةِ حيَّ على الصَّلاةِ، حيَّ على الفلاحِ حيَّ على الفلاحِ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلّا اللهُ، ثمَّ استأخر غيرَ بعيدٍ ثمَّ قال: تقولُ إذا أُقيمت الصَّلاةُ: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، أشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ، أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، حيَّ على الصَّلاةِ، حيَّ على الفلاحِ، قد قامت الصَّلاةُ قد قامت الصَّلاةُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلّا اللهُ، قال: فلمّا أصبحتُ أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرتُه فقال: إنَّ هذه الرُّؤيا حقٌّ إن شاء اللهُ، قال: ثمَّ أمر بالتَّأذينِ فكان بلالٌ مولى أبي بكرٍ يؤذِّنُ بذلك ويدعو رسولَ اللهِ ﷺ إلى الصَّلاةِ، قال: فجاءه ذاتَ غداةٍ إلى صلاةِ الفجرِ فقال: فقيل له :إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نائمٌ، قال: فصرخ بلالٌ بأعلى صوتِه: الصَّلاةُ خيرٌ من النَّومِ، قال سعيدُ ابنُ المُسيّبِ: فدخلت هذه الكلمةُ في التَّأذينِ بصلاةِ الفجرِ / ابن عبد البر (٤٦٤ هـ)، التمهيد ٢٣/٢٤ •ثابت

[٣] - عن عبدالله بن عمر :لا تَغلِبَنَّكُمُ الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم، ألا إنها العِشاءُ، وهم يُعتِمونَ بالإبلِ. وفي روايةٍ له - أيضًا :- لا تَغلِبَنَّكُمُ الأعرابُ على اسمِ صلاتِكُمُ العِشاءِ، فإنها في كتابِ اللهِ العِشاءُ، وإنها تُعتِمُ بحِلابِ الإبلِ.

لا...بل اسمها العِشاء، الأعراب يسمُّونها العَتْمَة، النبي صلى الله عليه وسلم يُحذِّر أن يغلبوكم على اسمها ، كأن هناك منازعَة حتى في المسميَّات، فلابد من نُسُك خاصّ بأهل الإسلام، ثُم باقي مناحي الحياة، وهذه الغَرْب غير قادِر على فهمها ، وعنها ألَّف بيجوفيتش "الإسلام بين الشَّرْقِ والغَرْب"، فالطُّغيان المادِّي عند الغرب، جعلهم غير قادرين على فهم كيف تعيش بالدِّين، هو يفهم إنك تغلق على نفسك معبَد وتتعبَّد، لكن لا يفهم أن تتعبَّد الله خارج المعبد تطبق الدين في حياتَك الدنيوية، لذلك الدِّين الوحيد اللي تجد إن في كل أماكن العمل يوجد مسجد، أو مُصلَّى، أو حتى فرش يُفرش ليصلوا. كثير من الإخوة الذين يسافرون كثيرا يحكي لي يقول: ممكن المطارات العالميَّة التي يجتَمِع فيها أغلب دُوَل العالم وتكون محطات انتقالية –ترانزيت– لكل دول العالم تجد فيها مسجد ومعبَد وكنيسة، الوحيد اللي يُفتح وألوف مؤلَّفَة من المسلمين تَعْمره، تدخل وتخرج منه هو المسجد، أصحاب الأديان الأخرى ليس عندهم هذا، هو يذهب ساعة في يوم معين يؤدي بعض الطقوس وينصرف، العبادة ليست جزءاً من حياته اليومية... أما نحن فلدينا آية مُبْهِرَة: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ...(١٠)} سورة الجمعة. نصلي ونعمل؟ نحج ونتاجر؟ {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...(١٩٨)}سورة البقرة. ممكن بعدما نصلي نعمل؟ ممكن أكون في السُّوق... ثم أذهب أصلي وأعود للسُّوق مرة أخرى؟ {رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ...(٣٧)} سورة النور. أتاجِر وأبِيع واشتري وأذكُر وأصلي وأزكِّي مع بعض؟؟ نعم مع بعض....هم عندهُم مفهوم لا تخلط [Don't mix]!!!، عندنا العبادة والحياة متداخلتان ، عندهم هذا التَّداخُل مشكلة!.

- العبادة والحياة متداخلتان

ولذلك قلنا إن في آيات سورة البَقَرة هذا التَّداخُل مقصود بين آيات الوَصيَّة والمال، والتِّجارة والصِّيام، وآيات القتال مع الحجّ، والطلاق مع الصَّلاة، والزَّكاة والرِّبا مع المعاملات المالية

ومعرفة الله وآية الكُرسي، كيف هذا التَّداخُل؟!! التَّداخُل بين العبادات والمعاملات هذا التداخُل الذي لن يُنْزَع إلى يوم القيامة، هذا الدِّين عَصِيّ على العلمنة، لن يُنزَع هذا التداخل إلى يوم القيامة، {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ...(١٦٢)} سورة الأنعام. هذه حياتي.

نأتي ل{...وَمَمَاتِي...} سورة الأنعام. العُلَماء قالوا ما معنى{...وَمَمَاتِي لِلَّهِ...(١٦٢)} سورة الأنعام؟ بعضُهُم قال: إنك بعد ما تموت أعمالك لله، كيف بعدما تموت أعمالك لله؟ إنك تعمل أعمال تنوي إنك بعدما تموت تستمر مثل الصَّدقة الجارية، مثل الوصيَّة، مثل الوَقْف، هذه أعمال تستمرّ بعد الموت، المؤمن يفكِّر في أعمال ما بعدَ المؤت، بعضهم قال هذه الأعمال التي تستمرّ بعد موْتَك، {إنا نحنَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ...(١٢)}سورة يس، وبعضهُم قال: أن تختار موتتك تكون في سبيل الله، أن تقاتل في سبيل الله لتنال الشَّهادة.

ابن عاشور ذَكَر معنى غريب لم يذكره سواه، قال هذه خاصَّة بالنبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ميِّت لُه أعمال لله، أنه يردّ السَّلام على من سلَّمَ عليه، إنه يوم القيامة يشْفَع، أن يقِف عند الصِّراط، و عند الحوْض، إن حتى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلَّم الأحكام الخاصة به مستمرَّة وثابتة، فلا ترفع صوتك عند قبر النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تخيَّل أن يشغلك وتفكَّر كيف يكون مماتي لله ؟... جميل جدا أن ترى المفسِّرين وهم يفكَّرون... كيف أجعل موتتي لله... ماذا افعل؟

واحد يقول: أوصِّي،

وواحد يقول:أعمِل وقْف،

وواحد يقول: أعمِل صَدَقَة جارية،

وواحد يقول: أنشُر عِلم ينتفع به،

وواحد يقول:أربي ولد صالِح يدعو لي،

تخيَّل منشغل بهذا... هذا شيء مُبْهِر في ديننا....تفكَّر في أعمالك فيما بعد الموْت كيفَ تكونُ لله!!!

ليس لأن يذكرك الناس فقط، تبحث عن أعمال لله بعد موتك، ليس همك فقط النَّاس تمدحك تقول: فلان ده كان وكان... فلان هذا كان باشا!...لا... أنت مشغول كيف تكون أعمالك لله حتى بعد الموْت {...وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...(١٦٢)}سورة الأنعام.

{لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ...(١٦٣)} سورة الأنعام. هذه هي الأوامر الهامة بعيدًا عن الأوامِر التَّافهَة اللي قالها المشركين {... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)}سورة الأنعام. أي: أنا أول من يطبق هذا في هذه الأُمَّة.

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(١٦٤)}سورة الأنعام. أنتم تطالبوني أن أتخذ سواه رباً؛ فالِقِ الإصباح، والذي جَعَل الليلَ سكَنًا، والذي أخرَج الثَّمَرات المتشابهَة وغير المتشابِهة، والذي يُنجِّيكم من ظلمات البرِّ والبَحْر، والذي خلق السماوات والأرض، والذي جَعَل الظُّلُمات والنُّور، والذي فعَل كل هذهِ الأفعال العجيبة طُوَال السُّورَة يفعلها وحده سبحانه وتعالى، أَغَيْرَ الله الذي ذُكِرَ بكلِّ هذه الصِّفات في هذهِ السُّورَة أبغي ربًّا؟!!

وجاء في السُّورة أيضا: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا...(١١٤)}سورة الأنعام. فالحَكَم: الأُلوهيَّة، وهنا الربوبية {...أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ...(١٦٤)} سورة الأنعام. {...ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم...} سورة الأنعام. وليست "ثُمَّ إلى ربي" أي أنتم لم ترْضوْا بهِ ربًّا لكم في الدُّنيا، فهوَ ربُّكُم بالرغم عنكُم في الدُّنيا وفي الآخِرَة، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: {...أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي...(١٦٤)} سورة الأنعام. ماذا؟ {...أَبْغِي رَبًّا...(١٦٤)} سورة

الأنعام.أنا رضيت به ربا لي ، أنتم ترفضون ربوبيته لكم ،لكن رغما عنكم سترجعون له {...ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(١٦٤)} سورة الأنعام.

الآية الخاتمة للسورة ... الله كما خلقكم يمكن أن يستبدِلكُم، وأنتم أتيتم بعد أقوام آخرين سبقوكم ، ومكَّة قد عاش فيها أقوام كثر، وعُذِّبوا بسبب المعصيَة في الحَرَم، ومن يقرأ كُتُب في تاريخ مكَّة، من بعد سيِّدنا إسماعيل حتى مجيء قريش واستقرارهم يجِد أقوام كثيرة تمَّ استبدالهُم بسبب المعصيَة: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(١٦٥)} سورة الأنعام. قيل خلائفَ الأرض أن يأتي قوم يخلفوا قوم، قوم يخلُفوا قوم، وهكذا... كما ورد في أول السُّورَة: {قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١١)} سورة الأنعام.

{...خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(١٦٥)} سورة الأنعام: أي أقوام يخلف بعضُهم البَعض، وقيل {...خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(١٦٥)} سورة الأنعام. هي كما قال الله {...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...(٣٠)}سورة البقرة... كلمة "خليفةُ الله في الأرض" هذه الكلمة بعض العُلَماء انتقدها ومنهم شيخ الإسلام ابن تيميَة... حتى الشيخ حبنَّكَة الميداني له كتيِّب اسمه "لا يصِحّ أن يُقال خليفة اللهِ في الأرض"، لكن حقيقةً هناك أيضًا كثير من العلماء أجاز هذهِ الكلِمَة مثل الإمام الطَّبَري، وأظُنّ الإمام القُرطُبي وغيرهُم من المفسِّرين- أيًا كان هو الخلاف لفظي- لكن المعنى {...خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(١٦٥)}سورة الأنعام.أو{...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً....(٣٠)} سورة البقرة. أي: يُقيمُ حُكْمَ اللهِ في الأرض، الملائكَة تُطبِّقُ مُرادَ اللهِ في السَّماء، وأنتم البَشَر جاءَ اللهُ بِكُم إلى الأرض لتقيموا حكم الله فيها، لذلك ربنا يقول للملائكة: {...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...(٣٠)} سورة البقرة. أنتم في السَّماء، {...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...(٣٠)}سورة البقرة. فلا بُدَّ أن يُخلَق من الأرض، لن تكونوا أنتم أيها الملائكة {...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...(٣٠)}، فربنا في ختام سورة الانعام يقول لهم الحكمة الأساسيَّة من وجودكُم أن تطبَّقوا شَّرع الله.

إذًا الآية لها معنيين، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(١٦٥)} سورة الأنعام المعنى الأول "كما أنهُ جاءَ بِكُم بعدَ قوْمٍ آخرين هو قادِر على استبدالكُم"، المعنى الثاني: "أنَّ الحِكْمَة الأساسيَّة من وجودِكُم هو تطبيق شرع الله"، المعنيين واضحين

أعيد.{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(١٦٥)} سورة الأنعام. المعنى الأول، كما أنهُ جاءَ بِكُم بعدَ قوْمٍ آخرين قادِر على أنه يخسِفَ بكم الأرض ويأتي بقومٍ آخرين، والنِّعمَة التي نحن فيها ؟ {...وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ...(١٦٥)}سورة الأنعام. هذا بلاء.

القوْل الثاني: إن الحكمة الأساسيَّة من وجودكُم في الأرض أنكم خليفة الله في الأرض: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ...(٢٦)}سورة ص. تطبيق شَرْعَ اللهِ في الأرض، والفُروقات الماديَّة ليست علامة رضا أو بُغض، ليست علامة على قرب أو بُعد من اللهِ عزَّ وجلَّ، ده ابتلاء و{وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ(١٦٥)}سورة الأنعام.

- الاستخلاف والاستعمار

لابد أن نفرَّق ما بين تطبيق شرع الله في الأرض وبين تقسيم الأرزاق، هناك تَفْرِقَة هامَّة جدًا قام بها أحَد العُلَماء في رسالة ماجستير قال: **هناك فارق ما بين الاستخلاف والاستعمار**، عمارة الأرض غير الخلافة في الأرض، ودائمًا النَّاس تركِّز على عمارَة الأرض وتترك الخِلافَة في الأرض، العِمارَة: البِناء الدُّنيَويّ للأرْض، الخِلافَة: إقامَة شَرْع الله في الأرض، الخِلافَة أعمّ من العِمارَة، الخِلافَة تشمَل عِمارةُ الأرْض دُنيَويًّا وإقامة شَرْع الله عزَّ وجلَّ دينيًّا، ليس الغَرَض الأساسي من وجود الإنسان عِمارَة الأرض فحسب، الخِلافَة بمعنى تطبيق شرع الله ، كما قلنا "خليفةُ الله": تطبيق مُراد الله عزَّ وجلَّ في الأرض، {...وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ...(١٦٥)} سورة الأنعام. هذا تقسيم الرِّزْق، إنما {...خلائف الأرض...(١٦٥)} سورة الأنعام. بإقامَة الشَّرْع، {...لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...(١٦٥)}سورة الأنعام.

{...إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ(١٦٥)} سورة الأنعام. أَكَّدَ العقوبة بمؤكِّد واحِد ووهو"إنَّ"، وأكَّدَ المغفِرَة بثلاث مؤكِّدات وهي "إنَّ واللَّام و الصِّفتين غفور رحيم".

هكذا انتهت سورة الأنعام ... **الأنعام هي التي حاول المشركين أن يغيَّروا فيها في التَّشريع، الأنعام هي النَّموذج اللي ربنا ذكره في السُّورَة لشِرْك التَّشريع، وكأنَّ هذا أخطَر شيء المسلمين مطالبين بمحاربته.**

- سورة الأنعام وسيلة للإنسان فى حياته

إذًا هذه السُّورَة العظيمة اللي **ابتدأت بالعقيدة وتوضيحها، وخُتِمَت بالشَّريعة ثُمَّ جاء الختام الكُلِّي الجامع للاثنين**... صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي...هذه السُّورَة مُجمَلَة لابد أن تكون وسيلة للإنسان في حياته، وسيلة في نقاشُه مع النَّاس، **كيف يصِل بإنسان لمرحلة "صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله" هذا يأتي في النهاية كمُحصلة ، إنك تصَّل بواحد لهذه المرحلة**، كثيرا ما نبدأ مع النَّاس من الآخر، لا... لابد أن تبدأ من البداية: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...(١)} سورة الأنعام..الآيات الأولى، ثم تكلمه عن مصارِعِ المكذبين، وعن إنقاذ الله له في مواطن الضيق، وأنك تمرّ بمراحل ضعف، وأن هناك كُبَراء لا يلينوا لدين الله فلا تسمَع كلامهُم ولا تتبعهم في باطلهم، وهناك زُخرُف للقوْل فلا تغتر به، وهناك جنّ وشَيَاطين من الإنس والجِنّ يتَعاوْنوا...إلخ من معاني طُوَال السُّورَة، لكي تصل بالذي تخاطبه لهذه النَّتيجَة أنت محتاج طريقة القرآن هذه. القرآن لا يخاطِب عَقْل فَقَط، يُخاطِب النَّفس، يُخاطِب القَلب، يُخاطِب مشاعِر الرَّجاء، يُخاطِب مشاعِر الخوف، يخاطبك كبني آدم ككل، يخاطب عقلك بالحُجَّة ومرة أخرى يضغط عليك، ومرة يحاصرك، هذا هو خطاب القرآن، فلابد أن تُخاطِب نفسك و تُخاطِب النّاس بطريقة القرآن.

- الخاتمة

نحمَدُ الله عزَّ وجلَّ أن أتَمَّ علينا هذهِ النِّعمَة، أن ختمنا هذهِ السُّورَة بفضله سبحانه وتعالى، وفعلًا إنك تفهم آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ واللهِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، فعلينا أن نستحضِر نعمة فهم

آية واحدة من كتاب الله، فكيف بسورَة! هذا فضل عظيم ، ولكننا نُحقِّرُ الشيء العَظيم، لذلك يُروى -**وإن كان كأثَر فيهِ ضَعْف**-، يُروى[أن من آتاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ القرآن ثُمَّ حقَّرَ هذهِ النِّعمَة فقد حقَّرَ عظيمَ نعمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ عليه]، كما قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ(٨٧)}سورة الحجر. من آتاه الله القرآن لا يصح أن ينظر أو يتشوف لغيره من متاع الدنيا: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زهرة الحياة الدنيا...(١٣١)}سورة طه. فالإنسان يحرِص أنه يَفْهَم ولو آية من كِتابِ اللهِ عزَّ وجل ويستشعرَّ أنها نعمة عظيمة وفضل من الله عليه.

أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يجعَلَنا من أهلِ القُرآن الذين هُمْ أهلُ اللهِ وخاصَّتُه.

إن شاء الله نتوقَّف ، وبإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ نُكْمِل بعدَ شهرِ رمضان، أسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يُبلِّغَنَا رمضانُ وأن يُعيننا فيهِ على ذِكْرِهِ وشُكرِهِ وحُسنِ عبادته، وأن يُبلِّغنا ليلةَ القَدْر، وأن يجعَلَنا من الفائزين فيها ويجعلنا من الصائمين القائمين في هذا الشهر شهرِ رمضان على الوجه الذي يرضاهُ ربنا ويرضيه عنا، أقولُ قولي هذا وأستغفِرُ اللهَ لي ولَكُم.

سُبحَانَكَ اللهُمَّ وبحَمْدِك أشهدُ ألا إله إلا أنتَ أستَغفِرُكَ وأتُوبُ إليك، وجَزَاكُمُ اللهُ خيرًا.